■ انطباعات ومقابلات وأحاديث عن تجربة شخصية قام بها يساري أجنبي خلال زيارة لإسرائيل وسجلها في رسائل لأصدقائه في بيروت

يوميات سريعة "لسائح" يساري في اسرائيل

خلال الشهر الماضي قام احد الاصدقاء الاجانب بزيارة لاسرائيل ، وقد انطلق هذا الزائر من كونه يحمل تصورا يسأريا للعالم (وهو يهودي ايضا) ليتلمس بنفسه حقيقة المجتمع وبنيانه في اسرائيل من خلال التعامل معه مباشره .

وعند عودته سجل الزائر المذكور ، في مجموعة من الرسائل بعث بها الى اصدقائه في بيروت ، انطباعاته عن تلك الزيارة ، وعن تجربته الشخصية ومقابلاته خلالها .

وفيما يلي عرض لمقاطع من هذه الرسائل :

« الهدف »

وصلت الى تيفوسيا في الساعة السابعة والنصف ، وكانت الرحلة الوحيدة الى تل ابيب على طائرة « اركيا » ، ونوجب علي ان اضع اسمي مدة ساعتين ونصف على لائحة الانتظار ، لان مقاعد الطائرة كانت كاملة العدد ، وللطائرة اربعة محركات غير نفاثة واستغرقت الرحلة مدة ساعة ، بينما كانت تستغرق نصف ساعة على متن طائرة نفاثة ، كل هناك نظام او خطة مدبرة لتاخر كل طائرة مدة ساعة لاسباب الامن ، ولقد فتشت الطائرة تفتيشا دقيقا، واخرجت الحمامات والمنافع الى الخارج ، وفتشت كما فتش جميع الركاب والحقائب نفسها دقيقا ايضا .

وبعد وصولي مباشرة الى تل ابيب ركبت الحافلة الى القدس ، وفيها جلست الى جانب يهودي بريطاني في موسكو العمر ، وهو تاجر ملابس رجالية في الشرق الاوسط ، ويشمل نشاطه البلاد العربية ، وهو يقضي في اسرائيل اربعة اشهر من كل سنة ، واستهلك معظم مدة السفر يشرح لي كراهيته للدول « المتاخرة القذرة ، الدول العربية ، كل الدول العربية ، الى تملك نفس الطابع القذر ، ويقارنها بدولة اسرائيل « الكبرى النظيفة المتقدمة » . وتكلم عن الانجازات الكثيرة التي قامت بها اسرائيل ، وانه عندما كان هناك في سنة ١٩٤٨ كانت البلاد فاحلة (!)

عندما اقتربنا من القدس لفت انتباهي النصف مجنزرات المصرية تركها الاسرائيليون هناك من سنة ١٩٤٨ تذكارا للعطشين ، وتذكيرا بالحاجة للاستعداد الدائم ، وعندما وصلت الى القدس في المساء شبهت الى ان المدينة مليئة بالاف السياح من الاميركيين وقسم كبير من يهود مدينة نيويورك على وجه الخصوص .

ولقد ناكدت من تلك الاشياء لانني قضيت حوالي اربع ساعات ابحث عن فندق ، واخيرا وجدت غرفة في فندق باهظ الاسعار ، وهناك اسمعت الى نشرة الاخبار الاردنية باللغة الانكليزية على شاشة التلفزيون ، لم ذهبت الى مطعم عربي لاتناول طعام العشاء ، وهناك التقيت ببعض العمال العرب ، وقد طلبوا الي ان اجلس معهم .

واخبرني هؤلاء ان الحياة في القدس المحتلة « ليست سيئة جدا » ، الضريبة عالية ، لكن الامر يدر ، اما الاسرائيليون فليسوا اشداء في القدس المحتلة فهناك نسبة عالية من البوليس العربي في القسم العربي في المدينة القديمة ، وهؤلاء مسدودون بدوريات اسرائيلية مستمرة .

اما من ناحية العمل والتجارة «فالحالة جيدة في القسم العربي منها» ، وهذا ما يؤكد لي من خلال الجموع الغفيرة المحتشدة على الاسواق ، البرجوازية الصغيرة تقوم بعمل وربح اكثر في المدينة القديمة منها من البرجوازية الصغيرة اليهودية .

اما السياح اليهود فهم الذين يجلونهم اغتباء . ان الطبيعة الطبقية للصراع ، ظهرت لي بوضوح في تلك اللحظة .

في اليوم الثاني كان علي ان ابحث مرة اخرى عن فندق ، وسكنت هذه المرة في فندق صغر في المدينة الجديدة ، وبينما كنت اسجل اسمي سالني مدير الفندق من اي اتجاه اتيت، فاجبته بدون تردد او ابة صعوبة : «من لبنان» وفدادى هذا الى صعوبة المناقشة بيننا ، اذ راح يسالني عن كيفية معاملة اليهود في لبنان، واكدت له ان المعاملة ليست صعبة في حد علمي، غير انه لم يثق بكلامي مثلما وعندما حاولت ان اقنعه عاد بهز براسه نافيا صحة اقوالي .

ان هذا الانطباع راسخ عند العديد من الاسرائيليين ، ومتجذر في عقولهم ولاتصدقون ما هو مناقض لفكرتهم العنصرية ، حتى ولوكان مصدرها شاهد عيان اسرائيلي.

كان الفندق ممتلئا بالسياح الاميركيين الصهيونيين لفضاء عطله في «بلادهم» ، وقد حاولوا ان يفهموني عدة مرات ان الامل بدوله اسرائيل يهودية ليست فكرة عنصرية .

ان معظم الاميركيين ، وخاصة الذين اتوا ليستوطنوا في اسرائيل ، يحملون الفكرة والعقيدة الصهيونية اكثر من الاسرائيليين انفسهم ، ولهذا تجدهم اكثر عداء للعرب .

ولقد سمعت من شاب اميركي انه يتمنى ان يحدث زلزال في القدس ليدمر المسجد الاقصى وبذلك يمكن بناء معبد سليمان ، فالزلزال هو افضل «حل» لازالة المشاكل السياسية على انه توجد بعض العناصر التي تنقد آراء هذا الشباب، وقد صادفت الكثير من الاميركيين على هذه الشاكلة ، الا ان ردة الفعل السلبية التي تكونت عندهم ازاء اسرائيل لم تكن مبنية على تحليل سياسي بل على العامل مع الحقيقة، ان معظم الاسرائيليين مغرورون كثيرا بانفسهم وشديدو الغطاظة ولقد ناكدت من قدماتهم للشخصية من خلال اقوالهم وتصرفاتهم، وبظهران الاضطراب النفسي الذين اختاروا ان يعيشوا اجواءه على المستوى العالمي قد تسرب الى جانبهم الوسيم وعلاقاتهم الشخصية، ان الطريقة التي يعاملون بها بعضهم بعضا في محلات الخضار والبيع والمطاعم ، وعملية صعودهم الى الفطار او الحافلات تبدو وكانها صراع حياة او موت (على سبيل المثال:شاهدت امراة تستعمل قبضه يدها لتقدم على غيرها في الصف) ، وقد بدا لي ذلك وكانه دلاله قاطعة على وجود اضطراب عصبي شديد يعيشه معظمهم .

لقد شكلت قناعة مفادها انه لو كان الفدائيون احرارا من ضغوط الحكومات العربية واستطاعوا ان يواجهوا جهودهم ضد اسرائيل وتسديد ضربات مستمرة فيها ، فان الاضطراب العصبي عند الاسرائيليين سيصل الى حد الانفجار او على الاقل الى تعميق حالة التوتر والتناقض الموجودة تحت قشرة الشعور بالامن، ان هذا الاضطراب النفسي والعصبي يظهر الاسرائيليين الشباب وهم يتصرفون بغطاظة، ونؤدي مثل هذه التصرفات الى ابعاد بعض السياح .

ان الشعور بعقدة التفوق هي في الواقع غطاء لشعور عميق بعقدة النقص ، ان التاكيد المستمر على القوة والمتعلق بتاكيد السلطة العسكرية بانها لن تسمح بنازية اخرى (رمي اليهود بالبحر)يقابله تعجرف وكبرياء المدنيين الاسرائيليين الذين يجدون ضرورة للبرهنة عن ذلك لاول مرة/اى مجنده' (حتى في اسفل هرمه) عاجزا عن الاسترخاء .

لقد ذهبت لزيارة رامات اشكول مجمع الابنية الضخم الذي بناه الاسرائيليون حول القدس . وعلمت من ممثل الاتروا في القدس بان الاسرائيليين يخططون لهذه المساكن لعدة اسباب ابرزها : ان الذين تركوا القدس والمنطقة التي حولها خلال معركة ١٩٦٧ لم ولن يسمح لهم بالعودة وبما ان الجزء الاكبر منهم لم يعد حتى الان فان الاسرائيليين يبذلون جهودهم لبناء مدينة باغلبية يهودية . وهذا البناء سيوفر اماكن السكن للاكثرية اليهودية ولوضع هذه الاكثرية في الاماكن الاستراتيجية العالية التي تحيط بالاجزاء العربية من المدينة ، بهذا يكون للاماكن السكنية هذه منافع عسكرية وسياسية.

ونلاحظ ان هذا المشروع الضخم هو من صنع العمال العرب (ومعظمهم برفض ان تلتقط صورهم) .

ونتع نهايه الاتروا في منصف هذا المشروع ولقد تحدثنا هنالك لمدة طويلة مع شخص ذكر لي ان الاسرائيليين كانوا يعرفون انه من الصعب على اهالي غزة ان يتركوا اراضيهم خلال المعارك التي جرت ، لان معظم الاراضي التي تحيط بهم اراضي صحراوية ، بينما الضفة الغربية تبدو اسهل لهؤلاء العرب المدعوين بالفائين (١٤ الف فقط من اصل ١٢٠ الف من الذين نزحوا سمح لهم بالعودة) وهذا يجعل الضفه الغربية منطقه ترقب وانتظار مجيء المرحلة المناسبة بحاله حرب مثلا ، وعندها يطرد الاسرائيليون مره اخرى عددا كبيرا من العرب وخاصة اهالي غزة ، لقد اكد هذا الحديث الدكتور اسرائيل شاهاك وهو رئيس رابطة الحقوق الانسانية الاسرائيلية .

ان الروائب في غزة تتراوح ما بين الـ ١٠ – ١٢ ليرة اسرائيلية ، وهذا على الاقل اعلى من رواتب المصريين ، ولكنه ما زال دون الحد الادنى لتكاليف المعيشة التي زادت مع الاحتلال الاسرائيلي ، ان معظم العرب في غزة يعتبرون ان الحالة الاقتصادية الان اسوا مما كانت عليه سابقا ، ان الاسرائيليين يستعملون الصحراء الان كمعسكرات اعتقال وينفى العرب الذين لا يتعاونون معهم الى الصحراء ويتركون هناك ليعيشوا مع البدو ، ان الاسرائيليين يعتبرون ان مستوى الدراسة العربية سيء لاسباب عديدة ولذلك فمعظمهم يسعفلون في امتحان الدخول الى الجامعة .

ذهبت الى الجامعه العبرية ، وهناك التقيت في باحة الجامعة بطالبين عمر كل منهما ١٨ سنة، وبدانا المناقشة حول قضية العرب (احدهم كان من اصل اوروبي – والاخر من اصل عراقي، وكلاهما من مواليد اسرائيل) ، فقال الطالب الاوروبي الاصل : « انا لا احب العرب ولا اكرههم ولكن اذا كان لا بد من الاختيار فانا اكرههم اكثر مما احبهم » . ووافقه الطالب العراقي الاصل في راية .

وقد تبين لي ان هذا الانطباع شائع من خلال عدة مناقشات مع الجنود ايضا ، فان الذين ولدوا في اسرائيل لا يحقدون على العرب ، ويناقشون هذا الموضوع بطريقة عملية ،ويعتبرون العرب في اسرائيل كعدو كامن والعرب في الخارج كعدو ثابت وحقيقي ، والعدو بالنسبة للشباب الاسرائيلي يجب ان يجابه بطريقة سريعة ولكن ان يعامل باكثر الطرق انسانية ممكنة (!) (وهم في نفس الوقت يصدقون دعاية بلادهم الغاشلة) . ولكن من الظاهر انهم يخفون تحت هذا الراي العملي كراهيتهم العنصرية التي تظهر بسهوله ووضوح في الظروف المناسبة .

هناك تاريخان مكدوبان عن فلسطين : الذي يعلمه الفلسطيني هو مضاد لما يعلمه الاسرائيلي، ان الذين ولدوا بعد ١٩٤٨ وقرأوا التاريخ المكتوب وليس التاريخ الذي عاشوه ، وهذا يجعل الحقد اكثر خطرا عند الاسرائيليين لان ما ينقصه هو التحليل الماركسي ، وكذلك اعتمادهم الكامل على التفسير العنصري الصهيوني للتاريخ الاسرائيلي ، ويزرعون الحقد في تاريخهم ، ان التحليل الماركسي هو الذي يفسر ما حدث لهذه الارض والعالم كله خلال هذا القرن .

وقمت برحلة سياحة في الباص مع دليل لمدة يوم كان تحمل عنوان عملية جشوا ، ويقوم بها قسم الشباب من جمعية « النداء اليهودي المتحد » وهي جزء من مخطط مرسوم للدعاية الصهيونية في الجامعات في اميركا وكندا ، وتنطلق هذه الرحلات السياحية من القدس الى تل ابيب اربعة ايام في الاسبوع ، ولقد اخبرني الوكيل الذي يتكلم الانكليزيه والعبرية ، انهم ينقلون بين ١٥٠ الى ٢٠٠ شخص اسبوعيا ، وفي هذه الرحلة بالذات اخذنا الى بيت للشيوخ والمسنين من احدث طراز – وهناك شاهدنا احد المسنين جالسا على كرسي ، وهو يهودي مصري ، وشرح لنا الدليل حاله الشخص واضعا كل اللوم على عبد الناصر .

بعد ذلك ذهبنا الى كيبوتز « ياد مردخاي » في الجزء الجنوبي الشرقي في البلاد على حدود ١٩٤٨ سابقا ، لعد « دافعت » هذه القرية ضد المصريين . لقد اعاد الاسرائيليون بناء ساحة المعركة بشكل حي وعرض لنا شريط تسجيلي للمعركة لمدة عشر دقائق شرح المعركة من وجهة نظر الدفاع عن الكيبوتس . وفي نفس الوقت بلادهم (وهم في نفس الوقت يصدقون دعاية الغاشلة) . ولكن من الظاهر انهم يخفون تحت هذا الراي العملي كراهيتهم العنصرية التي تظهر بسهوله ووضوح في الظروف المناسبة .

هناك تاريخان مكدوبان عن فلسطين : الذي يعلمه الفلسطيني هو مضاد لما يعلمه الاسرائيلي، ان الذين ولدوا بعد ١٩٤٨ وقرأوا التاريخ المكتوب وليس التاريخ الذي عاشوه ، وهذا يجعل الحقد اكثر خطرا عند الاسرائيليين لان ما ينقصه هو التحليل الماركسي ، وكذلك اعتمادهم الكامل على التفسير العنصري الصهيوني للتاريخ الاسرائيلي ، ويزرعون الحقد في تاريخهم ، ان التحليل الماركسي هو الذي يفسر ما حدث لهذه الارض والعالم كله خلال هذا القرن .

وقمت برحلة سياحة في الباص مع دليل لمدة يوم كان تحمل عنوان عملية جشوا ، ويقوم بها قسم الشباب من جمعية « النداء اليهودي المتحد » وهي جزء من مخطط مرسوم للدعاية الصهيونية في الجامعات في اميركا وكندا ، وتنطلق هذه الرحلات السياحية من القدس الى تل ابيب اربعة ايام في الاسبوع ، ولقد اخبرني الوكيل الذي يتكلم الانكليزيه والعبرية ، انهم ينقلون بين ١٥٠ الى ٢٠٠ شخص اسبوعيا ، وفي هذه الرحلة بالذات اخذنا الى بيت للشيوخ والمسنين من احدث طراز – وهناك شاهدنا احد المسنين جالسا على كرسي ، وهو يهودي مصري ، وشرح لنا الدليل حاله الشخص واضعا كل اللوم على عبد الناصر .

بعد ذلك ذهبنا الى كيبوتز « ياد مردخاي » في الجزء الجنوبي الشرقي في البلاد على حدود ١٩٤٨ سابقا ، لعد « دافعت » هذه القرية ضد المصريين . لقد اعاد الاسرائيليون بناء ساحة المعركة بشكل حي وعرض لنا شريط تسجيلي للمعركة لمدة عشر دقائق شرح المعركة من وجهة نظر الدفاع عن الكيبوتس . وفي نفس الوقت بلادهم كما حدث للاميركيين الغاشلة) . ولكن من الظاهر انهم يخفون تحت هذا الراي العملي كراهيتهم العنصرية التي تظهر بسهوله ووضوح في الظروف المناسبة .

هناك تاريخان مكدوبان عن فلسطين : الذي يعلمه الفلسطيني هو مضاد لما يعلمه الاسرائيلي، ان الذين ولدوا بعد ١٩٤٨ وقرأوا التاريخ المكتوب وليس التاريخ الذي عاشوه ، وهذا يجعل الحقد اكثر خطرا عند الاسرائيليين لان ما ينقصه هو التحليل الماركسي ، وكذلك اعتمادهم الكامل على التفسير العنصري الصهيوني للتاريخ الاسرائيلي ، ويزرعون الحقد في تاريخهم ، ان التحليل الماركسي هو الذي يفسر ما حدث لهذه الارض والعالم كله خلال هذا القرن .

وقمت برحلة سياحة في الباص مع دليل لمدة يوم كان تحمل عنوان عملية جشوا ، ويقوم بها قسم الشباب من جمعية « النداء اليهودي المتحد » وهي جزء من مخطط مرسوم للدعاية الصهيونية في الجامعات في اميركا وكندا ، وتنطلق هذه الرحلات السياحية من القدس الى تل ابيب اربعة ايام في الاسبوع ، ولقد اخبرني الوكيل الذي يتكلم الانكليزيه والعبرية ، انهم ينقلون بين ١٥٠ الى ٢٠٠ شخص اسبوعيا ، وفي هذه الرحلة بالذات اخذنا الى بيت للشيوخ والمسنين من احدث طراز – وهناك شاهدنا احد المسنين جالسا على كرسي ، وهو يهودي مصري ، وشرح لنا الدليل حاله الشخص واضعا كل اللوم على عبد الناصر .

بعد ذلك ذهبنا الى كيبوتز « ياد مردخاي » في الجزء الجنوبي الشرقي في البلاد على حدود ١٩٤٨ سابقا ، لعد « دافعت » هذه القرية ضد المصريين . لقد اعاد الاسرائيليون بناء ساحة المعركة بشكل حي وعرض لنا شريط تسجيلي للمعركة لمدة عشر دقائق شرح المعركة من وجهة نظر الدفاع عن الكيبوتس . وفي نفس الوقت بلادهم كما حدث للاميركيين

الظاهر العسكرية – دليل خوف

النور والتناقض تحت قشرة الشعور بالامن